المرثية العبدونية

لأبي محمد عبد المجيد ابن عبدون

(ت ٥٢٧ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

المرثية العبدونية لأبي محمد عبدالمجيد ابن عبدون

(ت ٥٢٧ هـ)

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله، وآله وصحبه أجمعين، وبعد : فقد قُرئ في ليلة الأربعاء ٤ صفر ١٤٣٩هـ، الموافق ٢٠١٧/١٠/٢٢م، على فضيلة الشَّيخ المقرئ المسند محمَّد سعيد الحسيني ـ شيخ قرَّاء البحرين ـ، قصيدة «**المرثية العبدونية**»، لأبي محمَّد عبدالمجيد بن عبدالله بن عبدون الفهري اليابرتي، الملقَّب بـ «ذي الوزارتين»، قال الشَّيخ محمَّد سعيد الحسيني: أخبرنا الشَّيخ المفتي ولي حسن التُّونكي، أخبرنا الشَّيخ حسين أحمد المدني، قال أخبرنا مولانا السَّيِّد أحمد بن إسماعيل البرزنجي ـ مفتي الشَّافعيَّة بالمدينة المنوَّرة ـ، عن أبيه العلَّامة إسماعيل بن زين العابدين البرزنجي المدني، عن المحدِّث صالح بن محمَّد الفلاني المدني، عن محمَّد سعيد سفر المدني، عن أبي طاهر محمَّد بن إبراهيم بن حسن الكُوْرَاني الكُرْدِي، عن والده، عن صفيِّ الدِّين أحمد القُشاشي المدني، عن الشَّمس محمَّد الرَّملي، عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، عن ابن حجر العسقلاني، قال في «المعجم المفهرس»: « قصيدة ابن عبدون في رثاء ابن الأفطس» : التي أوَّلها : «العين تَفْجَعُ بعد العين بالأثر»، أخبرنا بها أبو الفرج ابن الغزّي، عن يونس بن أبي إسحاق، عن محمَّد بن محمَّد بن عبدالملك بن مُحارب، عن أحمد بن علي بن حكم، عن القاضي عياض بن موسى، عن ابن عبدون بـه.

الدَّهْـرُ يَفْجَـعُ بَعْـدَ العَيْـنِ بِالأَثَـرِ * فَمَـا البُـكَاءُ عَلَـى الأَشْـبَاحِ وَالصُّـوَرِ

أَنْـهَاكَ أَنْـهَاكَ لا آلُـوْكَ مَوْعِظَـةً * عَـنْ نَوْمَـةٍ بَيْـنَ نَابِ اللَّيْـثِ وَالظُّـفُرِ

فَالدَّهْـرُ حَـرْبٌ وَإِنْ أَبْـدَى مُسَـالَمَةً * وَالبِيْضُ وَالسُّوْدُ مِثْلُ البِيْضِ وَالسُّمُرِ

وَلا هَـوَادَةَ بَيْـنَ الـرَّأْسِ تَأْخُـذُهُ * يَـدُ الضِّـرَابِ وَبَيْـنِ الصَّـارِمِ الـذَّكَرِ

فَـلَا تَغُـرَّنْكَ مِـنْ دُنيَـاكَ نَوْمَتُـهَا * فَمَـا صِنَاعَـةُ عَيْنَيْـهَا سِـوَى السَّـهَرِ

مَـا لِلَّيَالِـي أَقَـالَ اللهُ عَثْرَتَـنَا * مِـنَ اللَّيَالِـي وَخَانَتْـهَا يَـدُ الغِيَـرِ

فِـي كُـلِّ حِيْـنٍ لَهَـا فِـي كُـلِّ جَارِحَـةٍ * مِـنَّا جِـرَاحٌ وَإِنْ زَاغَـتْ عَـنِ النَّظَـرِ

تَسُـرُّ بِالشَّـيْءِ لَكِـن كَـيْ تَغُـرَّ بِـهِ * كَالأَيْـمِ ثَارَ إِلى الجَانِـي مِـنَ الزَّهِـرِ

كَـمْ دَوْلَـةً ولِيَـت بِالنَّصْـرِ خِـدْمَتَهَا * لَـمْ تُبْقِ مِنهَا وَسَلْ ذِكْرَاكَ مِـنْ خَبَرِ

هَـوَتْ بِـدَارًا وَفَلَّـتْ غَـربَ قَاتِلِـهِ * وَكَـانَ عَضْـباً عَلَـى الأَمْـلَاكِ ذَا أُثُـرِ

وَاسْتَرْجَعَتْ مِنْ بَنِي سَاسَانَ مَا وَهَبَتْ * وَلَـمْ تَـدَعْ لِبَنِـي يُـوْنَانَ مِـنْ أَثَـرِ

وَأَلْحَـقَتْ أُخْـتَهَا طَـسْماً وَعَـاد عَلَـى * عَـادٍ وَجُـرْهُمَ مِنْهَـا نَاقِـضُ المِـرَرِ

وَمَـا أَقَالَـتْ ذَوِي الهَيْـئَاتِ مِـنْ يَمَـنٍ * وَلا أَجَـارَتْ ذَوِي الغَـايَاتِ مِـنْ مُضَـرِ

وَمَـزَّقَتْ سَـبَأً فِـي كُـلِّ قَاصِيَـةٍ * فَمَـا التَـقَى رَائِـحٌ مِـنْهُمْ بِمُبْتَكِـرِ

وَأَنفَـذَتْ فِـي كُلَيْـبٍ حُكْمَهَـا وَرَمَـتْ * مُهَلْهِـلاً بَـيْنَ سَمْـعِ الأَرْضِ وَالبَصَـرِ

وَلَـمْ تَـرُدَّ عَلَـى الضِّلِّيْـلِ صِحَّتَـهُ * وَلا ثَنَـتْ أَسَـداً عَـنْ رَبِّـهَا حُجُـرِ

وَدَوَّخَـتْ آلَ ذُبْـيَانٍ وَإِخْوَتَـهُمْ * عَبْساً وَغَصَّتْ بَنِي بَدْرٍ عَلَى النَّهَرِ

وَأَلْحَـقَتْ بِعَـدِيٍّ بِالعِـرَاقِ عَلَـى * يَـدِ ابْـنِهِ أَحْمَـرَ العَيْنَيْـنِ وَالشَّـعَرِ

وَأَهْلَكَـتْ أَبْرَوِيْـزاً بِابْنِـهِ وَرَمَـتْ * بِيَزْدَجُـرْدَ إِلى مَـرْوٍ فَلَـمْ يَحُـرِ

وَبَلَّغْتْ يَزْدَجُرْدَ الصَّيْنَ وَاخْتَزَلَتْ * عَنْهُ سِوَى الفُرْسِ جَمْعَ التُّرْكِ وَالخَزَرِ
وَلَمْ تَرُدَّ مَوَاضِيْ رُسْتُمٍ وَقَنَا * ذِي حَاجِبٍ عَنْهُ سَعْدًا فِي ابْنَةِ الغِيَرِ
يَوْمَ القَلِيْبِ بَنُوْ بَدْرٍ فَنُوا وَسَعَى * قَلِيْبُ بَدْرٍ بِمَنْ فِيْهِ إِلى سَقَرِ
وَمَزَّقَتْ جَعْفَراً بِالبِيْضِ وَاخْتَلَسَتْ * مِنْ غِيْلِهِ حَمْزَةَ الظَّلَّامَ لِلجُزُرِ
وَأَشْرَفَتْ بِخُبَيْبٍ فَوْقَ فَارِعَةٍ * وَأَلْصَقَتْ طَلْحَةَ الفَيَّاضَ بِالعَفَرِ
وَخَضَّبَتْ شَيْبَ عُثْمَانٍ دَماً وَخَطَتْ * إِلى الزُّبَيْرِ وَلَمْ تَسْتَحِي مِنْ عُمَرِ
وَلا رَعَتْ لِأَبِي اليَقْظَانِ صُحْبَتَهُ * وَلَمْ تُزَوِّدْهُ إِلَّا الضَّيْحَ فِي الغُمُرِ
وَأَجْزَرَتْ سَيْفَ أَشْقَاهَا أَبَا حَسَنٍ * وَأَمْكَنَتْ مِنْ حُسَيْنٍ رَاحَتِي شَمِرِ
وَلَيْتَهَا إِذْ فَدَتْ عَمْراً بِخَارِجَةٍ * فَدَتْ عَلِيّاً بِمَنْ شَاءَتْ مِنَ البَشَرِ
وَفِي ابنِ هِنْدٍ وَفِي ابْنِ المُصْطَفَى * أَتَتْ بِمُعْضِلَةِ الأَلْبَابِ وَالفِكَرِ
فَبَعْضُنَا قَائِلٌ مَا اغْتَالَهُ أَحَدٌ * وَبَعْضُنَا سَاكِتٌ لَمْ يُؤْتَ مِنْ حَصَرِ
وَأَرْدَتْ ابنَ زِيَادٍ بِالحُسَيْنِ فَلَمْ * يَبُؤْ بِشِسْعٍ لَهُ قَدْ طَاحَ أَوْ ظُفُرِ
وَعَمَّمَتْ بِالظُّبَى فَوْدَي أَبِي أَنَسٍ * وَلَمْ تَرُدَّ الرَّدَى عَنْهُ قَنَا زُفَرِ
أَنْزَلَتْ مُصْعَباً مِنْ رَأْسِ شَاهِقَةٍ * كَانَتْ بِهَا مُهْجَةُ المُخْتَارِ فِي وَزَرِ
وَلَمْ تُرَاقِبْ مَكَانَ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَلا * رَاعَتْ عِيَاذَتَهُ بِالبَيْتِ وَالحَجَرِ
وَأَعْمَلَتْ فِي لَطِيْمِ الجِنِّ حِيْلَتَهَا * وَاسْتَوْسَقَتْ لِأَبِي الذِّبَّانِ ذِي البَخَرِ
وَلَمْ تَدَعْ لِأَبِي الذِّبَّانِ قَاضِبَهُ * لَيْسَ اللَّطِيْمُ لَهَا عَمْرو بِمُنْتَصِرِ
وَأَحْرَقَتْ شِلْوَ زَيْدٍ بَعْدَمَا احْتَرَقَتْ * عَلَيْهِ وَجْداً قُلُوْبُ الآيِ وَالسُّوَرِ
وَأَظْفَرَتْ بِالوَلِيْدِ بْنِ اليَزِيْدِ وَلَمْ * تُبْقِ الخِلافَةَ بَيْنَ الكَأْسِ وَالوَتَرِ
حَبَابَةٌ حَبُّ رُمَّانٍ أُتِيْحَ لَهَا * وَأَحْمَرٌ قَطَّرَتْهُ نَفْحَةُ القُطُرِ
وَلَمْ تَعُدْ قُضُبُ السَّفَاحِ نَائِيَةً * عَنْ رَأْسِ مَرْوَانَ أَوْ أَشْيَاعِهِ الفُجُرِ
وَأَسْبَلَتْ دَمعَةَ الرُّوْحِ الأَمِيْنِ عَلَى * دَمٍ بِفَحٍّ لِآلِ المُصْطَفَى هَدَرِ
وَأَشْرَقَتْ جَعْفَراً وَالفَضْلُ يَنْظُرُهُ * وَالشَّيْخُ يَحْيَى بِرِيْقِ الصَّارِمِ الذَّكَرِ
وَأَحْفَرَتْ فِي الأَمِيْنِ العَهْدَ وَانْتَدَبَتْ * لِجَعْفَرٍ بِابْنِهِ وَالأَعبُدِ الغُدُرِ
وَمَا وَفَتْ بِعُهُوْدِ المُسْتَعِيْنِ وَلا * بِمَا تَأَكَّدَ لِلمُعتَزِّ مِنْ مِرَرِ
وَأَوْثَقَتْ فِي عُرَاهَا كُلَّ مُعْتَمِدٍ * وَأَشْرَقَت بِقَذَاهَا كُلَّ مُقْتَدِرِ
وَرَوَّعَتْ كُلَّ مَأْمُوْنٍ وَمُؤتَمِنٍ * وَأَسْلَمَتْ كُلَّ مَنْصُوْرٍ وَمُنْتَصِرِ
وَأَعْثَرَت آلَ عَبَّادٍ لَعاً لَهُمُ * بِذَيْلِ زَبَّاءَ لَمْ تَنْفِرْ مِنَ الذُّعُرِ
بَنِي المُظَفَّرِ وَالأَيَّامُ لا نُزِلَتْ * مَرَاحِلُ، وَالوَرَى مِنْهَا عَلَى سَفَرِ
سُحْقاً لِيَوْمِكُمْ يَوْماً وَلا حَمَلَتْ * بِمِثْلِهِ لَيْلَةٌ فِي غَابِرِ العُمُرِ
مَنْ لِلأَسِرَّةِ أَوْ مَنْ لِلأَعِنَّةِ أَوْ * مَن لِلأَسِنَّةِ يُهْدِيْهَا إِلى الثُّغُرِ
مَنْ لِلظُبَى وَعَوَالِي الخَطِّ قَدْ عُقِدَتْ * أَطْرَافُ أَلْسُنِهَا بِالعِيِّ وَالحَصَرِ
وَطَوَّقَتْ بِالمَنَايَا السُّوْدِ بِيْضَهُمُ * فَاعْجَبْ لِذَاكَ وَمَا مِنْهَا سِوَى الذِّكْرِ

مَـــنْ لِلِيَـــرَاعَةِ أَوْ مَـــنْ لِلـــبَرَاعَةِ أَوْ * مَـــنْ لِلسَّـــمَاحَةِ أَوْ لِلنَّـــفْعِ وَالضَّـــرَرِ
أَوْ دَفْـــعِ كَارِثَـــةٍ أَوْ رَدْعِ آزِفَـــةٍ * أَوْ قَمْـعِ حَادِثَـةٍ تَعْـيَا عَلـى الْقُـدَرِ
وَيْـبَ السَّـمَاحِ وَوَيْـبَ البَـأْسِ لَـوْ سَـلِمَا * وَحَسْـرَةُ الـدِّيْنِ وَالـدُّنْيَا عَلـى عُمَـرِ
سَـقَتْ ثَـرَى الفَضْـلِ وَالعَـبَّاسِ هَامِيَـةٌ * تُعْـزَى إِلَـيْهِمْ سَـمَاحاً لا إِلى المَـطَرِ
ثَلاثَـــةٌ مَـــا أَرَى السَّـــعْدَانُ مِثْلَـــهُمُ * وَأَخبَرَ وَلَـوْ عُـزِّزَا فِـي الـحُوْتِ بِالـقَمَرِ
ثَلاثَـةٌ مَـا ارْتَقَـى النِّسْـرَانِ حَيْـثُ رَقُـوا * وَكُـلُّ مَـا طَـارَ مِـنْ نَسْـرٍ وَلَـمْ يَطِـرِ
ثَلاثَـــةٌ كَـــذَوَاتِ الـــدَّهْرِ مُنْـــذُ نَأَوا * عَنِّي، مَضَى الدَّهْرُ لَمْ يَرْبَعْ وَلَمْ يَحُرِ
وَمَـرَّ مِـنْ كُـلِّ شَـيْءٍ فِيْـهِ أَطْيَبُـهُ * حَـتَّى التَمَـتُّعُ بِالآصَـالِ وَالبُـكَرِ
أَيْـنَ الـجَلالُ الَّـذِي غَضَّـتْ مَهَابَـتُهُ * قُلُوْبَنَـا وَعُيُـوْنُ الأَنْجُـمِ الزُّهُـرِ
أَيْـنَ الإِبَاءُ الَّـذِي أَرْسَـوا قَـوَاعِدَهُ * عَلَـى دَعَـائِمَ مِـنْ عِـزٍّ وَمِـنْ ظَفَـرِ
أَيْـنَ الوَفَـاءُ الَّـذِي أَصْـفَوا شَـرَائِعَهُ * فَلَـمْ يَـرِدْ أَحَـدٌ مِنْهَـا عَلَـى كَـدَرِ
كَـانُوا رَوَاسِـيَ أَرْضِ اللهِ مُنْـذُ مَضَـوا * عَنْهَـا اسْتَطَارَتْ بِمَـنْ فِيْـهَا وَلَـمْ تَقَرِ
كَـانُوا مَصَابِيْـحَهَا فَـمُذ خَبَـوا عَثَـرَت * هَـذِي الخَلِيْقَـةُ يَا للهِ فِـي سَـدَرِ
كَـانُوا شَـجَا الـدَّهْرِ فَاسْتَهْوَتْـهُمُ خُـدَعٌ * مِنْهُ بِأَحَلامِ عَادٍ فِي خُطَى الحَضَرِ
وَيْـلُ أُمِّـهِ مِـنْ طَلُـوْبِ الثَّـأرِ مُدْرِكِـهِ * مِـنْهُمْ بِأُسْـدٍ سُـرَاةٍ فِـي الوَغَـى صُبُـرِ
مَـنْ لِـي وَلا مَـنْ بِـهِمْ إِنْ أَظْلَمَـتْ نُـوَبٌ * وَلَـمْ يَكُـنْ لَيْـلُهَا يُفْضِـي إِلى سَـحَرِ
مَـنْ لِـي وَلا مَـنْ بِهِـمْ إِنْ عُطِّلَـتْ سُـنَنٌ * وَأُخْـــفِيَتْ أَلسُـــنُ الآثَارِ وَالسِّيَـــرِ
مَـنْ لِي وَلا مَـنْ بِـهِمْ إِنْ أُطْـبِقَتْ مِحَـنٌ * وَلَـمْ يَكُـنْ وِرْدُهَـا يَـدْعُو إِلى صَـدَرِ
عَلَـى الفَضَـائِلِ إِلَّا الصَّبْـرَ بَعْـدَهُم * سَـلَامُ مُرْتَـقِبٍ لِلأَجْـرِ مُنْتَظِـرِ
يَرْجُـو عَسَـى وَلَـهُ فِـي أُخْتِـهَا أَمَـلٌ * وَالـدَّهْرُ ذُوْ عُقَـبٍ شَـتَّى وَذُوْ غِيَـرِ
قَـرَّطتُ آذَانَ مَـنْ فِيْهَـا بِفَاضِـحَةٍ * عَلَى الحِسَانِ حَصَى اليَاقُوْتِ وَالدُّرَرِ
سَـيَّارَةٍ فِـي أَقَاصِـي الأَرْضِ قَاطِعَـةٍ * شَقَّاشِقاً هَـدَرَتْ فِـي البَـدْوِ وَالحَـضَرِ
مُطَاعَـةِ الأَمْـرِ فِـي الأَلْبَـابِ قَاضِيَـةٍ * مِنَ المَسَامِعِ مَا لَـمْ يُقْضَ مِنْ وَطَرِ
[ثُـمَّ الصَّـلاةُ عَلَـى المُخْتَـارِ سَـيِّدِنَا * المصْطَفَى المجتَبَى المَبْعُوْثِ مِنْ مُضَرِ
وَالآلِ وَالصَّـحْبِ ثُـمَّ التَّـابِعِيْنَ لَـهُ * مَا هَبَّ رِيْحٌ وَهَلَّ السُّحْبُ بِالمَطَرِ]

(هذه المنظومة ذكرها : ابن دحية الكلبي في «المطرب في أشعار أهل المغرب»، وشهاب الدّين النُّويري في «نهاية الأرب في فنون الأدب»، وشرحها عبدالملك بن عبدالله بن بدرون وهو مطبوع قديمًا، وهذه رواية أبي محمَّد المراكشي في «المعجب في تلخيص أخبار مغرب»، كما أنها موجودة في ديوانه مع زايدة البتين الأخيرين، والله أعلم)

فضيلة الشيخ المقرئ المسند

محمد سعيد الحسيني

شيخ قراء البحرين